

## مُلخَص

يؤثر الجانب الروحي في دفع الإنسان نحو بناء الصرح الحضاري وقد ركز مالك بن نبي على دور القيم الإسلامية في ذلك، وأول وظيفة للقيم الإسلامية هي الوظيفة الروحية التي بها تسمو روح الإنسان وترتفع عن ارتكاب المعاصي والآثام، أما الوظيفة الاجتماعية فتظهر في اعتناء الإسلام بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، دون أن تغفل عن الوظيفة السياسية التي بها تقوم أمور الدولة، وتحفظ بها حقوق الرعية، أما الجانب الاقتصادي فمهم لأنه يضمن تكافؤ الفرص في العيش، ومن الوظائف الأخرى للقيم الإسلامية، الوظيفة الجمالية التي تتجلى في مظهر وسلوك الإنسان المسلم الذي يعكس جمال هذا الكون الذي سخره الله ليكون عوناً في القيام بمهمة التشييد والبناء.

## مُقَدِّمَةٌ

يُعدّ مالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٣) من أعلام النهضة الحضارية في الجزائر، فقد كان صاحب نظرة عميقة في البناء الحضاري، حيث ركزت أفكاره على القضايا الأساسية في العالم الإسلامي، فدرس مشاكل النهضة والثقافة محاولاً معرفة أسباب خروج المجتمعات الإسلامية من دورة الحضارة المعاصرة. فقد اهتم بدراسة مقومات الشخصية الإنسانية وركز على تأثير الجانب الروحي في دفع هذه الشخصية نحو بناء الصرح الحضاري ونوّه بأهم الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية. وقبل أن نبين أهم هذه الوظائف، لا بأس من ذكر أهم الضوابط التي تحكم هذه القيم مما يجعلها قيماً تحكم البشرية وتوسّع لتنظيم حياتها الدنيوية، كما تنظم حياتها الأخروية.

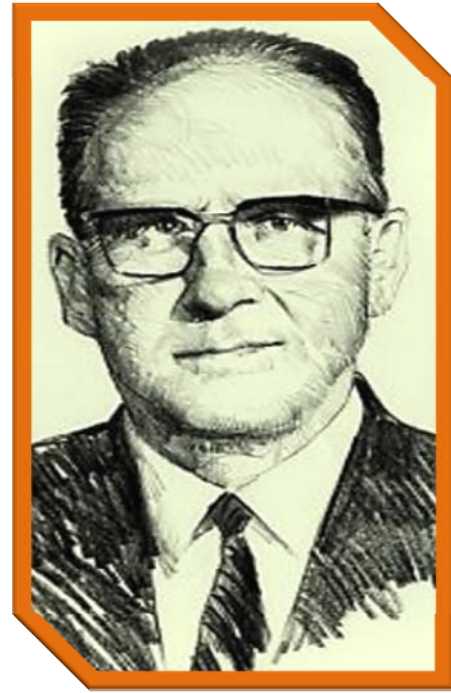
## أولاً: الضوابط

## ١- الضابط المفهومي

إن الإسلام يحرص على إبلاغ الإنسان الكمال المقدر له، ولا يتأتى ذلك إلا بأن يجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وأفكاره وميوله وفق المناهج والكيفيات التي جاء بها الإسلام، فسنّ لذلك أحكاماً تنظّم علاقات الإنسان وتبين له منهجه في الحياة، وسنّ له كذلك مقاصد تتماشى وحاجاته الدنيوية لتضمن له العيش في سعادة وطمأنينة.

## ١/١- الأحكام:

قبل أن نذكر أنواع الأحكام في الإسلام يجب الإشارة إلى مصادرها وهي نوعان: "الأول: مصادر أصلية وهي الكتاب والسنة النبوية، والثاني: مصادر تبعية قامت على المصادر الأصلية كالإجماع والاجتهاد بأنواعه المختلفة، كالقياس والاستحسان والمصلحة المرسلّة... وهذه المصادر كلها تجعل الشريعة الإسلامية في غاية القدرة والاستعداد والأهلية للبقاء والعموم، بحيث لا يحدث شيء جديد إلا وللشريعة حكم فيه"<sup>(١)</sup>، وهذا ما يضمن صلاح الدين الإسلامي لكل زمان ومكان. والأحكام الشرعية في الإسلام نوعان:



## الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية في فكر مالك بن نبي

## فاطمة بور

أستاذة الأدب العربي - الطور الثانوي  
باحثة دكتوراه في الدراسات الأدبية والحضارة  
جامعة أبو بكر بلقايد - الجمهورية الجزائرية



## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فاطمة بور، الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية في فكر مالك بن نبي- دورية كان التاريخية- العدد الرابع والعشرون؛ يونيو ٢٠١٤. ص ١٠٣ - ١٠٧.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأذى

## النوع الأول: القواعد والمبادئ العامة

فقد وردت في الشريعة قواعد ومبادئ عامة تتضمن أحكامًا عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان، كما تعتبر أساسًا يقام عليه كل الأحكام الجزئية المتفرعة عنها، ومن هذه الأحكام:

- مبدأ الشورى: وهو "مبدأ أصيل من مبادئ الشريعة في نظام الحكم الإسلامي ووصف من أوصاف المسلمين في تجمعهم ومباشرتهم أمور الحكم والسلطان"<sup>(٦)</sup> ويعتبر هذا المبدأ أسمى وأعدل وأحكم قواعد الحكم الصالح بين البشر، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره أبدًا.

- مبدأ المساواة: وهو أيضًا من مبادئ الإسلام العظيمة، فقد ساوى الإسلام بين الناس في التكليف، وأمام القانون، فالإسلام لا يفرق بين أفراد المجتمع في العقوبات فقد قال رسول الله (ﷺ) في الحديث النبوي: (وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). فلا شك أنّ المساواة في الإسلام بُنى عليها مجتمع خال من التحيز والظلم، فهو سلوك ومبدأ تمهفو إليه الفطرة السليمة.

- مبدأ العدالة: العدالة في الإسلام مبدأ بارز، حيث يظهر في كل علاقات البشر بعضهم ببعض، فالعدالة تكون للقريب والبعيد، وللعُدو والصدّيق، وتكون في البيت وفي شؤون الدولة. ولا شك أنّ هذا المبدأ يضمن مصالح الناس فيما بينهم باختلاف انتمائهم وأعراقهم.

- قاعدة لا ضرر ولا ضرار: وهذه القاعدة معناها "أن الضرر مرفوع بحكم الشريعة أي لا يجوز لأحد إيقاع الضرر بنفسه أو بغيره، كما أن مقابلة الضرر بالضرر لا يجوز لأنه عبث وإفساد لا معنى له"<sup>(٧)</sup> وهنا تكمن فائدة هذه القاعدة في استقرار الناس وتأمينهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم.

## النوع الثاني: الأحكام التفصيلية

الأحكام التفصيلية في الشريعة الإسلامية كثيرة، يطول شرحها وبيانها، ولهذا نكتفي بذكر عينات ونماذج من هذه الأحكام ومنها: وجوب الإيمان بالله وبرسوله محمد (ﷺ)، ومن أحكام العبادات وجوب الصلاة والصيام والزكاة ومسائل العبادات الأخرى، لأنها تنظم علاقة الفرد بخالقه، وهي في الوقت ذاته تزكية للنفس وطهارة لها، وأحكام الأخلاق "كوجوب الصدق والوفاء والأمانة والالتزام بالكلمة والتعاون على البر، وحرمة الكذب والغدر والخيانة والتعاون على الشر والتحلل من المسؤولية واستغلال النفوذ والظلم"<sup>(٨)</sup> فهذه الأحكام ضرورية في كل مجتمع يريد الصلاح والتقدم. وهناك أيضًا الأحكام المتعلقة بالمعاملات "كتنظيم الأسرة وتحديد أحكام الزواج والطلاق والحضانة والنسب والميراث والنفقة، وتحريم الربا وهو حكم يخص تنظيم المبادلات المالية... وهناك أحكام العقوبات التي جاءت مفصلة لعدد من الجرائم كالردة والزنا والقذف والسرقة وقطع الطريق وشرب الخمر وقتل

النفس وغيرها"<sup>(٩)</sup> وكل هذه الأحكام جاءت لصالح الإنسان ولا يمكن الاستعاضة عنها بأحسن منها.

## ٢/١- المقاصد:

تنقسم مقاصد الشريعة الإسلامية إلى ثلاث أقسام رئيسة هي: الضروريات: وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. الحاجيات: فهي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم، وإذا فاتتهم يصيب الناس ضيق وحرَج، لذلك شرع الطلاق وشرعت الدية في القتل الخطأ. التحسينيات: فهي التي ترجع إلى "محاسن العادات ومكارم الأخلاق... فشرعت الطهارة للبدن والثياب وستر العورة، والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه، والنهي عن قتل الأطفال والنساء في الحروب"<sup>(١٠)</sup>.

## ٢- الضابط التعبدي

## ١/٢- الفقه (الروحي):

شرعت العبادات في الإسلام لتنظيم علاقة الفرد بربه، وتظهر عبوديته لله تعالى على وجه واضح، وهي حق الله الخالص على عباده، وفي مقدمتها الصلاة فهي عماد الدين لأنها رابطة مباشرة بين الإنسان وخالقه، يظهر فيها المصلى خالص التذلل بين يديه سبحانه وتعالى بالدعاء والاستغفار. فالصلاة "تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتمتدب النفس وتحبي الوجدان وتثير الضمير وتربي المصلي على الطاعة والنظام والصبر، والانضباط، والتخلق بالخلق الحسن"<sup>(١١)</sup>. أما الصوم فهو مدرسة المسلم، تعلمه التربية الاجتماعية وذلك بمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين لأنه يستشعر حاجتهم بصومه، كما تعودده على الإنفاق وتحرره من البخل والشح. والزكاة هي "معجزة الإسلام في التكافل الاجتماعي، بحيث تؤمن للمحتاج حاجته وللفقير ما يعينه على الحياة، وللمشروع الخيرية استمراريتها، مما يضمن دوام المصلحة العامة"<sup>(١٢)</sup> والحج مؤتمر إسلامي كبير، واجتماع للتعرف بين المسلمين، ففيه يلتقي المسلمون الوافدين من كل الأصقاع" وفي الحج تبحث المشكلات التي تعترض سبيل المسلمين وكانت موعودًا لتقدمهم ونهوضهم لمزيد من العمل المستمر والتخطيط الواضح للمدروس على ضوء حاجات الأمة ومطالبها، لدفع عجلة الحضارة الإسلامية قدمًا إلى الأمام.

وفي الحج إعداد للمؤمن على روح التعاون الاجتماعي وتطهير له من مفاصد الحياة المادية، وتخليصه من العزلة والأنانية، بالإضافة إلى تدريبه على التقشف وخشونة العيش، والاعتماد على النفس وتحمل الشدائد، وفي الحج تذوب الفروق الفردية فلا يتعالى أحد في جماله على الفقير لأن لباسهم واحد وذلك لتطبيق المساواة الحقبة بين المسلمين"<sup>(١٣)</sup> فالعبادات إجمالاً تردع المسلم عن ارتكاب المعاصي، وتجعله يراقب ربه في السر والعلانية، وتقوي في نفسه خشيته، ولاشك أنّ المجتمع سيكون آمنًا مستقرًا كلما زاد فيه عدد الصالحين، وعلى هذا فالعبادات في الإسلام تصلح الفرد والمجتمع على حدّ سواء، هذا الفرد الذي هو اللبنة الأولى في إنشاء مجتمع

- أنها الأمة الخاتمة، لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين.

- أنها أمة ذات كتاب محفوظ، أي أن الله وعد بحفظ كتابه، ليضمن لهذه الأمة الخلود، خلود هذا الدين الذي تستمد منه قوتها وبقائها.

- أمة صلاح وإصلاح، فالأمة الإسلامية لا تسعى لصلاحها فقط، بل تسعى لإصلاح الغير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك استحققت أن تكون خير أمة.

- أنها أمة دين، فالقرآن الكريم ليس مجرد كتاب فحسب، بل هو دستور شامل لحياة لا انفصال فيها بين الدنيا والآخرة.

### ٢/٣- الانتماء:

خلق الله الإنسان وفطره على حب الاجتماع، وبث فيه غريزة الانتماء، وجعل الإيمان به شرطاً للانتماء إلى المجتمع الإسلامي، فبمجرد أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يصبح من الجماعة المسلمة، له ما لها وعليه ما عليها، وقد أشار القرآن الكريم أن الناس خلقوا من نفس واحدة مما يكفل لهم الوحدة الإنسانية فلا فرق بين جنس وآخر ولا لون وآخر، ففي حضن الجماعة المسلمة يعيش الإنسان حق الانتماء للأمة، بل ويتوسع مفهوم الانتماء إلى غير المسلمين، حين يضمن لهم حقوق المواطنة، والذي هو من الحقوق المشروعة في الإسلام، لأن الإسلام منذ الوهلة الأولى أذاب الفروق الفردية تحت مظلة الوحدة الإنسانية.

### ٣/٣- رسالة الإنسانية:

أفاد الإسلام العالم كله من الناحية الدينية والمدنية إفادة يتعذر تقديرها، فمنحهم حرية الفكر والنظر، فهو دين سنّ للناس كافة، وضمن للإنسان إنسانيته في حضارة تنظر إليه على أنه مخلوق كرمه الله بغض النظر عن عرقه ودينه وتوجهه، فالإسلام نشر أفكار الحق والعدالة والحرية والمساواة والإخاء والشورى والتعاون والخير والمحبة والرحمة والسلام، ليعيش الناس في ظلال وحدة مجتمعة من الأفكار والأهداف والمبادئ والغايات، في ظلال عالم موحد تسوده الطمأنينة والأمن والسلام فالحضارة الإسلامية حضارة إنسانية، حضارة تبتغي الموازنة بين الروح والمادة وبين العقل والجسم وبين الواجب والحق. فالإسلام بمبادئه منح البشرية المنهج القويم للأمن والاستقرار، أما من الناحية المادية فقد حافظ على التراث العالمي والعلمي والمادي، وتولاه بالزيادة والتمحيص لأنه يؤمن أن الموروث الحضاري هو موروث إنساني، أو ما يسمى بـ التراكم الحضاري للأمم، وهذا ما يجعل الأوروبيين أنفسهم يشهدون لهذا الدين، يقول برنارد شو: "إني أرى الإسلام دين أوربا في أواخر القرن العشرين".<sup>(١٦)</sup>

حضاري، فالعبادات هي أساس من الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية.

٢/٢- الصوفي (القلوب):

"التصوف" منهج تربوي وصحي، يرمي لصقل النفس الإنسانية، وتهذيب ميولها ورغباتها، فقد قيل في التصوف أنه "فرار الأحد (أي الفرد) إلى الأحد (أي الله)"<sup>(١٠)</sup> أي ما يدل على مجاهدة النفس للوصول إلى الذات الإلهية، فتكبح الشهوات ويخف الإقبال على الدنيا والتهافت على ملذاتها، والتصوف يدعو الفرد إلى إحلال التوازن بين شواغله وهمومه الحياتية من ناحية، وبين حاجياته الروحية ونوازعه المعنوية من ناحية أخرى. فالمنهج الصوفي يتجاوز العبادة النظرية الخاضعة لقوانين الفقه إلى عبادة القلوب وهي حالة نفسية معينة لا توجد عند غير المرید، "فالمرید في مجاهدته وعبادته ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة، وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة فترسخ أو تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور... وكلها تنتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة".<sup>(١١)</sup> فالتصوف يعتبر ذلك النهر الروحاني العميق الذي ينساب خلف الدين، فقد قال عنه أحد المتصوفين: "ليس التصوف رسوماً ولا عموماً ولكنه أخلاق".<sup>(١٢)</sup>

٣/٢- الاستخلاف:

قال الله عزوجل في محكم تنزيله: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"<sup>(١٣)</sup>، فالعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته، والخضوع له وإتباع منهجه الذي وضعه للإنسان ليظفر بالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فالإنسان خلق لعبادة الله بمعناها الواسع، فكل حركاته وسكناته هي في الأصل عبادة إن استحضرت النية في ذلك، فسعيه لكسب رزق عياله عبادة، وزواجه ليعف نفسه عن المحرمات عبادة، وإمالة الأذى عن الطريق عبادة، وكل صغيرة وكبيرة يقوم بها هي عبادة إن حضرت النية، ومن أجل ذلك "كانت خلافة الإنسان لربه على الأرض تعبيراً عن تحمله لمسؤولية بناء مجتمع إنساني، يشارك عمران الأرض، ويسمو بروحه في الوقت نفسه على العالم المادي".<sup>(١٤)</sup> وخلافة الإنسان في الأرض في فكر مالك بن نبي هي مسؤولية عظيمة، عدها أمانة يجب الاعتناء بها والحفاظ عليها، ومن هنا انشغل بإصلاح هذا الإنسان من جانب إنسانيته، نيته في ذلك جعله يحس بذاته وإعداداته لتحمل المسؤولية مع نفسه ومع غيره.

### ٣- الضابط الاجتماعي

#### ١/٣- الأمة:

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الأمة" في اللغة العربية يعني "الدين والطريقة والملة، فيقال: فلان لا ملة له أي لا دين له، كما تدل الأمة في اللغة أيضاً على النعمة والعيث الحسن"،<sup>(١٥)</sup> أما الأمة الإسلامية فقد اختصت بخصائص ميزتها عن باقي الأمم ومن أهم هذه الخصائص:

- أنها أمة مهيبة من الله، فقد أنزلت عليها آخر الشرائع السماوية.

بين الآباء والأبناء بضبط حق وواجب كل واحد منهما نحو الآخر ودعّم صلة الرحم، وحفظ حقوق الناس باختلاف دياناتهم في السلم والحرب، لأن طاقات الفرد لا قيمة لها بمعزل عن طاقات الجماعة.

### ٣/٢- الوظيفة السياسية:

لقد أثر الإسلام في حياة العرب السياسية، حيث توحدت قبائل العرب تحت لوائه، فصار لهم حاكم واحد هو النبي (ﷺ) ثم خلفاؤه من بعده، فجعل للخليفة مهامًا وشروطًا وبين حقوقه وواجباته نحو الرعية فكان "عقد الإمامة مَنْ يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، كما جعل مبدأ الشورى من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام، به نطق القرآن وجاءت به السنة وأجمع عليه الفقهاء ... ومن مقومات نظام الحكم في الإسلام الخضوع لسلطان الإسلام فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"<sup>(٢٤)</sup> ولم يقف الإسلام عند تنظيم الدولة من الداخل بل نظّم علاقاتها الخارجية أيضًا، فحثّ على احترام المعاهدات والعقود والعهود حتى مع غير المسلمين.

### ٤/٢- الوظيفة الاقتصادية:

الإنسان يبذل كثيرًا من الجهد والنشاط في سبيل الحصول على وسائل العيش، ولا شك أن هذا النشاط المبدول من كل إنسان هو ضروري لتوفير وسائل العيش للآخرين، لأن الإنسان لا يستطيع توفير جميع احتياجاته بمفرده، وقد جاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظّم النشاط الاقتصادي، حيث جعل أفضل الكسب، كسب الرجل من يده، ونهى عن التسول، ونظّم أمور التجارة بين البائع والمشتري، وحرم الربا في المعاملات، وحثّ على الزكاة ليضمن التكافل الاجتماعي، ودعا إلى الإكثار من الصدقات، وبيّن أمور الإرث وكيفية تقسيمه حتى لا يؤدي ذلك إلى تكديس الثروات، "فالنشاط الاقتصادي الذي يؤتي ثماره لا بد أن ينبعث من فكر ناضج وخبرة مسبقة، وأن يسير على قواعد مضبوطة وخطوات مدروسة حتى يضمن المجتمع التطور الاقتصادي اللازم، فكل عشوائي يكون مصيره الفشل أو تكون نتائجه آنية سريعة الزوال"<sup>(٢٥)</sup>.

### ٥/٢- الوظيفة الجمالية:

اعتنى الإسلام بالذوق الجمالي في المظهر، فسّن طهارة الجسم والثوب والمكان، وجعل هذه الطهارة شرطًا في قبول العبادات، كما حرص على الجمال اللفظي، فسّن التحية بين المؤمنين وحث على النطق بالكلام الجميل وحذّر من الكلام الخبيث، كما جعل سبحانه وتعالى الكون آية من آيات الجمال، وأمر الإنسان أن يتدبّر في هذه الآيات، فالتصور الإسلامي للكون تصور جميل، فالسماوات مزينة بالمصابيح، والأرض مكسوة بألوان مختلفة من النباتات، "فالقرآن يوجه الإنسان نحو جمال الكون كله، لأن إدراك الحال الموجود يؤدي إلى إدراك جمال خالق الوجود"<sup>(٢٦)</sup> فالإسلام يحرص على الجمال في كل نواحي الحياة لأنه دين حياة، والحياة تستدعي الجمال. وهذه الوظائف المختلفة للقيم الإسلامية تنظّم حياة الإنسان فوق هذه الأرض مما يجعله منوطًا بالمسؤولية الملقاة على

ويقول جوته عندما أدرك حقيقة الإسلام: "إن كان هذا هو الإسلام أفلا نكون مسلمين"<sup>(١٧)</sup> ويقول شو كذلك: "لا بد أن تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن، ولو أن محمدًا بُعث في هذا العصر لنجح تمامًا في حل جميع المشكلات العالمية، ولقد العالم إلى السلام والسعادة المنشودة"<sup>(١٨)</sup> فمالك بن نبي ركز على إنسانية الإسلام ونظر إلى الدين على أنه "التغيير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة خلال القرون، وهو يعد في منطق الطبيعة أساس كل التغييرات الإنسانية الكبرى"<sup>(١٩)</sup> وهذا ما ذهب إليه جوته حين يقول: "القرآن سيحافظ على تأثيره إلى الأبد، لأن تعاليمه مطابقة للحاجات الفكرية لقوم معتزين بتقاليدهم"<sup>(٢٠)</sup> لذلك استحق هذا الدين أن يكون آخر الرسائل السماوية لأنه صالح لكل زمان ومكان، ولا يسعد الإنسان إلّا به.

## ثانيًا: الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية

### ١/٢- الوظيفة الروحية:

إن من الوظائف الأولى للدين تزكية روح الإنسان، وقد اهتم الإسلام بذلك فشرع العبادات التي تقرب الإنسان من ربه وتساعد العبد على صفاء روحه والبعد عن كل المعاصي والذرائع، كما اعتنى بتفصيل أمور الدنيا مما يضمن للإنسان الطمأنينة والعيش الرغيد، فالدين عماد الحياة الروحية ومنبع الطمأنينة للنفس بشرط أن تظهر آثار هذا الدين في سلوك الإنسان وعمله، لأن الحياة الروحية هي الدافعة للخير، فمتى امتلأ قلب الإنسان بالإيمان قويت إرادته وأقبل على الدنيا بنظرة تفاضلية، فيرى مالك بن نبي أنه "بدون العامل الروحي أو المركب الروحي فإن الإنسان والتراب والوقت لن تعدو أن تكون ركامًا راكداً، أو كومة لا تؤدي دورًا في التاريخ"<sup>(٢١)</sup> فتجلي الروح في غار حراء بالنسبة للإسلام هو الذي أنشأ بين هذه العناصر الثلاثة (الإنسان، التراب، الوقت) حضارة جديدة.

### ٢/٢- الوظيفة الاجتماعية:

من الحقائق الثابتة التي أشار إليها عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته أن "الإنسان مدني بالطبع"<sup>(٢٢)</sup> أي أن الاجتماع ضروري للإنسان، فهو يولد ويعيش ويموت في المجتمع، والإسلام نظّم الحياة الاجتماعية فحسب بن نبي فإن تعاليم الإسلام لها غايتان "غايتها أن تربط الأرض بالسماء وهو حين ينشئ الشبكة الروحية التي تربط الفرد والمجتمع بالله فإنها في الوقت ذاته تبني شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح لهذا المجتمع أن يضطلع بمهمته الأرضية، وأن يؤدي نشاطه المشترك، وهو بذلك يربط أهداف السماء بضروريات الأرض"<sup>(٢٣)</sup> إذن فالدين يربط الصلة بالله كما يبيّن العلاقات الاجتماعية التي تدخل المجتمع في دائرة الحضارة، ومن الأنظمة الاجتماعية التي حرص الإسلام على الأسرة، فهي أساس كيان المجتمع، لأن مجموعها يتكوّن المجتمع. فالإسلام نظّم الزواج وبيّن حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة، كما أشار إلى أحكام الطلاق وما يترتب عليه بالنسبة للزوجين والأبناء، ونظّم العلاقة

## الهوامش:

- (١) عبد الكريم زيدان: "أصول الدعوة"، مكتبة القدس، مصر، ط ٤، ١٩٩١ ص ٦٨.
- (٢) المرجع نفسه، ص ٦٢.
- (٣) المرجع نفسه، ص ٦٣.
- (٤) المرجع نفسه، ص ٦٤.
- (٥) المرجع نفسه، ص ٦٦.
- (٦) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (٧) حسن رمضان فحلة: "مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام"، دار الهدى، الجزائر، ط ١، ١٩٨٩، ص ٤٢.
- (٨) المرجع نفسه، ص ٤٥.
- (٩) المرجع نفسه، ص ٤٥.
- (١٠) مجلة "الواقع الديني اليوم"، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، "التصوف كجسر بين الأديان والحضارات"، تقديم أن ماري ميشال، ١٩٩٩، ص ٥٩.
- (١١) عبد الرحمان بن خلدون: "المقدمة"، تحقيق درويش العويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩، ص ٥٨٥.
- (١٢) أبو بكر محمد الكلابادي: "التعرف لمذهب أصل التصوف"، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكلية الأزهرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٨٥.
- (١٣) سورة الذاريات، الآية (٥٦).
- (١٤) عفت الشرقاوي: "أدب التاريخ عند العرب"، مكتبة الشباب، القاهرة، ص ٢٠٥.
- (١٥) محمود حمدي زقزوق: "موسوعة الحضارة الإسلامية"، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد ٤، ٢٠٠٥، ص ٤٢٤.
- (١٦) محمد أركون: "العلمنة والدين الإسلامي"، دار الساقى، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦، ص ٨٥.
- (١٧) المرجع نفسه، ص ٨٦.
- (١٨) المرجع نفسه، ص ٨٧.
- (١٩) مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، تحقيق عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط ١، ١٩٥٩، ص ١٥٤.
- (٢٠) مجلة "الحضارة الإسلامية"، المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، ٤٤، ١٩٩٨، ص ١٧٢.
- (٢١) مالك بن نبي: "ميلاد مجتمع"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الإنشاء، طرابلس، ١٩٧٤، ص ٩٦.
- (٢٢) عبد الرحمان بن خلدون: "المقدمة"، ص ٧٧.
- (٢٣) مالك بن نبي: "ميلاد مجتمع"، ص ٩٥.
- (٢٤) أبو الحسن محمد الماوردى: "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، تحقيق حلي بن محمد المغربي، دار الأرقم، الكويت، [د.ط.]، ١٤٠٦هـ، ١٢٥.
- (٢٥) مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، ص ٨٠.
- (٢٦) محمد قطب: "منهج الفن الإسلامي"، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٩٨٣، ص ٢٣.

عاقبه في إعمار الأرض والاستخلاف فيها فكل الأمور مضبوطة وميسرة له لأن تقوم بمهمة بناء حضارة إنسانية تعيش تحت راية الإسلام في سلم وأمان وطمأنينة.

## خاتمة

لما كانت القيم الدينية من العوامل الأساسية في دفع عجلة التقدم والبناء والإسهام الفاعل في الحضارة الإنسانية، لما تحويه من حوافز ودوافع وحقائق وأهداف تأخذ بيد الإنسان إلى العمل الصالح، الذي يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه في آن واحد، فقد ركز مالك بن نبي في دراساته المتعددة لمشاكل الحضارة على الجانب الروحي، وبين دور القيم الإسلامية في بناء حضارة إنسانية للناس جميعًا، وعند ملامسة هذا الموضوع بالدراسة خلصنا إلى نتائج أهمها:

- يرى مالك بن نبي أن الإسلام الذي يأمر الإنسان بالإيمان بالله إيمانًا كاملاً صادقاً فهو في الوقت نفسه يدعو إلى الواقع، ليعمل من أجل خير أخيه لا في النسب والمواطنة ولا في العقيدة والدم، وإنما أخوه في الإنسانية.
- إن السبيل إلى تحقيق حضارة هو تربية الأفراد على الأهداف الروحية والاجتماعية والإنسانية التي دعا إليها الإسلام.
- وإذا كان منطلق الحضارة الإنسانية كياننا الديني فلا يمكن أن نغفل الاستفادة من تجارب الآخرين في شتى الميادين، شرط أن نعطيها الصبغة الإسلامية.
- إن في أفكار مالك بن نبي مشروع حضاري مكتمل التصميم، لذلك يجب على الأمة الإسلامية الاستفادة منه لإعادة بناء الصرح الحضاري للأمة الإسلامية من جديد.